العدد (2085) السنة الثامنة - الأربعاء (30) آذار 2011 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

الآراء الـواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

على هامش الصراحة

ربيع البحرين

إحسان شمران الياسري

طوينا صفحة الحرب ونحن نقتفي آثار أهلنا في البحرين وليبيا، حيث تقتفيهم سِرف الدبابات (الوطنية والدولية).. ولا فرق عندي بين رصاصة الأمريكان أو كتائب القذافي، ولا رصاصة القوات الشقيقة من درع الجزيرة أو رصاصة الملك المفدى..!

ولا فرق عندي أن يكون القاتل شيعيا أم سنيا وكذا المقتول.. ولا فرق عندي أن يكون قذافيا أو بنغازيا.

فالخسارة الكبرى أن يموت الإنسان وهو لم يستكمل طرح أسئلته التي طرحها او تلك التي لم تزل مؤجلة بانتظار اللحظة والمكان ووسيلة التوصيل.. وأحسب أن الأسئلة المؤجلة في تزايد وانتفاخ عجيب.. وفي اللحظة التي ينفجر فيها السؤال، ربما يكون الوقت ازف، وتكون الميادين التي كانت مشرعة، قد أغلقت، فيعود الحزن حزينا بما عنده، ويموت المأسور بوطأتها دون إجابة.

والبحرين قصة حضارة عبرَ منها فاتحون، وتآلفت بها أمة صغيرة العدد، عزيزة المقدار والقدر والقُدرة..

وحتى لو وضعوا لمشاكل البحرين ألف عذر لنقلها من مشكلة وطنية إلى مشكلة طائفية أو إقليمية، ستبقى مشكلة وطنية نسأل الله تعالى أن يداويها أهلها، ملكا وشعبا وحكومة.. فلم تعد (بالنسبة للعراقيين)، أخبار سقوط الأنظمة أو إسقاطها مجرد أخبار، بل هي صور ومشاهد، وقصص..

وان العمليات الجراحية الكبرى من أمثال نموذج التغيير العراقي، قد لا تكون صالحة لدول أخرى.

وإذا كانت قد نجحت في العراق، فهي لم تزل عرجاء، ولا نتمناها لأحبائنا البحارنة والليبيين..

كل ما نتمناه، أن يحيا الشعب عزيزا معافى، وان الاستقواء بالدروع الإقليمية أو الكتائب القذافية مجرد إطالة للازمة وليس حلها.

ihsanshamran@yahoo.com

ديباجة الدستور العراقي مواجع وأحـزان على الطريقة المنفلوطية!

غالب حسن الشابندر

(١)

حسنا أن تكون هناك ديباجة أو مقدمة للدستور ، عرفٌ معمول به في كثير من التجارب الدستورية ، والمهمة الجوهرية لـ ديباجة بيان فلسفة الدستور ، واهدافه وغاياته بلغة قانونية رصينة ، تغلب فيها المفردات القانونية والتشريعية ، على أن تحا فظ كل كلمة على موقعها الطبيعي من السرد ، وان يبتعد السرد جهد الامكان عن لغة المترا دفات والتكرار ، ومعادلات الآهات وا لأوجاع والبكائيات والرثائيات ، فنحن بين يدي لغة قانونية وإنْ كانت ديباجة ، ولسنا في موقع استر جاع الذكريات والايام سواء حلوة كانت أو مرّة ، فهذه القضايا لها مكانها الآخر كما هو معلوم ، مكانها التاريخ والأدب وليس الدستور .

الطابع العام لهذه الديباجة هو الأدب ذو الصبغة المنفلوطية، اي نسبة الى الأديب المصري المعروف مصطفى لطفي المنفلوطي صاحب العبرات والنظرات حيث تشيع في أدبه اللغة البكائية، وتنضح كلماته بالدموع والدماء والآلام ! والشيء المثير هو تسميتها ديباجة حيث لا اعرف لذلك وجها، كبديل عن المقدمة ، وهي أسهل قراءة وفهما بل وهي الحالة السائدة تقريبا ، وربما لم يتذكر صائغ هذه الديباجة مقدمة ابن خلدون التي تعتبر أهم انجاز حضاري في الفكر العربي الاسلامي على صعيد شؤون الاجتماع والعمران .

هذه الديباجة عبارة عن بكائية ، وبكائية مكتوبة بلغة الادب المنبري ، الأدب الشعري الساذج، فهي تذكر بصريح العبارة أن إقدام العراقيين بملايينهم إلى صناديق الاقـتراح في الثلاثين من شهر كانون الثاني كان مقرونا باستذكار مواجع القمع الطائفي وباستلهام فجائع شهداء العراق شيعة وسنة وباستيحاء ظلامة استباحة المدن المقدسة والجنوب... وباكتواء لظى شجن المقابر الجماعية والاهـوار والدجيل... فنحن إذن بين يدي اغنية جنائزية وليس بين يدي فلسفة ، الديباجة) دموع ودم وآلام ، وليست فكرا ، وفلسفة .

(٢)

تقول الديباجة هذا: نحن أبناء وادي الرافدين موطن الرسل والانبياء ومثوى الإئمة الاطهار... عرفانا منا بحق الله علينا ،وتلبية لنداء وطننا ومواطنينا... زحفنا لاول مرة في تاريخنا لصناديق الاقتراع.

هذا النص المنفلوطي مثير حقا، إذ أليس هم المواطنون الذين زحفوا للاقتراع؟ وعليه ما معنى المقدمة الاستهلالية تلبية لنداء وطننا ومواطنينا؟ نص غير وا ضح، محير، يبدو أن كتاب الديباجة يشيرون الى انفسهم، أي هم الذين أقدموا الى الاقـتراع نـداء لـ(مواطنيهم!ام أن المواطنين استجابوا للمواطنين؟

يصعب على القارئ بمن فيهم مثلي ان يميز بين المنادي بكسر الدال وبين المنادى بفتح الدال، فهل نحن بين لغة ملغزة، أم هي متطلبات التعبير الأدبي الرمزي، خاصة وإن كاتب الديباجة يريد تنوير العراقي مهما كان مستواه الفكري بأهمية الدستور وخطورته ؟

أقول ذلك وعلمي بكل بساطة إنها ليست من صنف الادب الرمزي قطعا ، ولا من صنف اللغة القانونية، ولا من صنف اللغة الوظيفية، ولا من صنف اللغة الإعلامية، لغة مجهولة الهوية، خاصة وهي ملغزة المضمون. ملاحظة أخرى على هذا النص الغريب الهوية وا لمعنى، ترى لماذا نحن ابناء الرافدين وليس نحن أبناء العراق؟ أليس هذا التعبير أكثر مصداقية على الوطنية؟ أليس الجميع تنا دوا الى الانتخابات والجميع شاركوا فيها، وقبل ذلك الجميع اكتووا بنار الديكتاتورية والطغيان الصدامي؟

الديباجة في سطور لا حقة تقول نحن أبناء العراق! هل هناك ما يستدعي مثل هذه المفارقة ؟ لماذا في البداية نحن أبناء الرافدين وفي وسط الديباجة نحن أبناء العراق؟ بل حتى إذا كانت هناك مناسبة بين اللغة والموضوع كانت البداية تستحق التعبير الوطني الاشمل، اي نحن أبناء العراق...

أليس كذلك؟

(٣)

تقول الديباجة هذه:... ومعاناة أهالي المنطقة الغربية كبقية مناطق العراق من تصفية قياداتها ورموزها... ولست أدري أي مناسبة هي أن يحشر كتّاب الديباجة هذه الاشارة التي تثير الشك ، اي كبقية مناطق العراق، أركّز هنا على حرف التشبيه ك ، ولماذا لا يكون درج مأساة المنطقة الغربية ك أي منطقة أخرى في السياق العام لجغرافية العراق دون هذه الإشارة الزائدة ؟أي دون كاف التشبيه هذه. أن هذه الإشارة الغريبة كبقية مناطق العراق ليست مريحة، وتسجل علامة شذوذ واضحة، وتثير الريب ، يبدو بكل وضوح ان كاتب الديباجة هذه لا يقدر قيمة الكلمة، ودورها في الحياة والمجتمع ومصير الشعوب والأمم.

إنها صياغة قلقة، بعيدة عن الحصافة واللياقة الوطنية، وتثير السؤال حتما خاصة من قارئ غير عراقي.

(٤)

تقول الديباجة : نحن شعب العراق الناهض توّاً من كبوته ... هل كان هذا الشعب في كبوة واليوم نهض من هذه الكبوة ؟

أي كبوة هذه يا ترى ؟

من الواضح ان التعبير يختزن إدانة للشعب العراقي ، من الواضح ان كاتب الديباجة يختزن في داخله فكرة مؤداها ان الشعب العراقي كان راضيا بالحكم الصدامي الديكتاتوري ،و إلا ما هي هذه الكبوة التي انتفض عليها ،كبوته على وجه الخصوص؟

هل كان الشعب العراقي في كبوة قبل الانتخابات ، قبل التغيير، وا لآن نهض من كبوته ؟

هذا ما يوحي به نص الديباجة التا ريخية !

الشعب العراقي دائم النهضة ضد الاستعمار ، وضد الاقطاع، وضد الظلم ، لم يكن يوما كابيا، بقاء حكم صدام حسين لمدة ثلاثين عاما ليس بسبب كبوة شعب، بل كانت بسبب القهر والظلم، بسبب القوى الدولية التي وقفت الى جانب صدام حسين...

لو أن الديباجة تقول على سبيل المثال، المتحرر تواً من الظلم، من الطغيان، من الديكتاتورية ... لكان الامر واضحا، ولكن أن تقول الديباجة الشعب العراقي الناهض توا من كبوته فهي الكبوة ذاتها .

(٥)

تقول الديباجة : نحن شعب العراق الذي آلى على نفسه ... أن يسن من منظومة القيم والمثل العليا لرسالات السماء ومن مستجدات علم وحضارة الإنسان هذا الدستور الدائم..

والحقيقة أن الدستور لا يُسنُّ من قيم ومُثل ، بل هذه القيم والمثل ترشد الدستور ، هي الإطارُ العام للدستور ،المثل والقيم كما هو العدل والمساواة والحرية ليست أحكاماً ، ولا قوانين ، ولا دساتير ، بل هي أطر ، مرشدات، إن الديباجة كما يبدو تريد الإشارة إلى الشريعة الإسلامية ، والشريعة الاسلامية احكام ، يمكن الاستفادة من الاحكام الشرعية الاسلامية مثلا لسن قوانين ، أحكام ، شرائع ، ولكن ليس من المعقول ان نسنَّ احكاما وشرائع وقوانين من مُثل العدل والمساواة ، تلك مسالة أخرى، يجب التفريق جيدا هنا بين المثل من جهة وبين الأحكام من جهة أخرى، بين القيم من ناحية والقوانين الجنائية والاقتصادية والاجتماعية من ناحية أخرى .

أن يكون العدل مرشدا ،أن تكون المساواة هدفا، ذلك صحيح ، ولكن ان نسنَّ من العدل والمساواة قوانين وشرائع وأحكاماً فذلك ما لا ا فهمه حقا .

(٦)

تقول الديباجة هذه : لم يثننا التكفير والإرهاب من أن نمضي قدما لبناء دولة القانون ... وتبني أسلوب التوزيع العادل للثروة ....

تقول الديباجة هذه :... إن الالـتزام بهذا الدستور يحفظ للعراق اتحاده الحر شعباً وأرضا وسيادةً...!

العبارة في غاية التشوش !

إذا كان مفهوما ان يتحد العراق شعبا وأرضا ، فما هو معنى أن يتحد العراق سيادة ؟

التعبير قلق ومضطرب ، ولا ينم عن ثقافة سياسية ولا لغوية !

مرَّة أخرى أتساءل وبكل براءة عن عودة ضمير الجمع ، إلى من يعود ؟ الى المواطنين العراقيين ام إلى كتاب الدستور ؟

إذا كان الضمير عائدا الى الشعب العراقي فلماذا لا يكون الحديث عن هذه الحقيقة بشكل مباشر ومن دون هذا الالتواءات في التعبير ، فتقول الديباجة على سبيل المثال : لم تثن كل المعوقات الشعب العراقي من المضي على طريق دولة القانون... ، وإذا كان الضمير عائدا على كتاب الديباجة أو أعضاء البرلمان فذلك يدل على كارثة بطبيعة الحال.

(٧)

الـفـهـارس.. الـدلـيـل إلى الـوثـائـق

صبيح الحافظ

الهدف من الموضوع هو عرض أساسي دقيق متوازن لجوانب المعالجة الفنية لأوعية مصادر المعلومات في مراكز توثيق المعلومات " مجلات ... كتب ... دوريات ... تقارير ... ملفات ... أضابير...الخ" .

تقوم مراكز المعلومات بثلاث مهام أو وظائف رئيسه هي الاقتناء أو الحصول على مصادر المعلومات المختلفة والمتنوعة بما فيها الأفلام المصغرة والأقراص المغنطة وتنظيم هذه المعلومات وتحليلها وترتيبها وفهرستها ومن ثم بثها او تقديم خدمات المعلومات للمستفيدين من الباحثين.

ومن الطبيعي ان تهتم مراكز توثيق المعلومات باختيار واقتناء مصادر المعلومات الملائمة لأهدافها واحتياجات المستفيدين منها إلاّ أن مصادر المعلومات أو الوثائق التي يتم الحصول عليها مهما كان حجمها وضخامة كلفتها لا قيمة لها ولا فائدة منها ما لم يتم تنظيمها وتحليلها وترتيبها وإعداد الأدوات الفنية التي تتيح استرجاع المعلومات المطلوبة بأيسر الطرق وفي اقل زمن ، وهي وضع الأدلة والفهارس.

ويتم التنظيم والتحليل أو المعالجة الفنية على ثلاثة محاور هي " فهرسة بشقيها الوصفي والموضوعي الهجائي " والتكشيف والتصنيف ، ففي الفهرسة نقوم بإعداد بطاقات للوثائق وتشتمل كل بطاقة على البيانات التي تصف الملامح المادية للوثيقة ، وتلك التي تصف موضوعها أو موضوعاتها ، وتتجمع البطاقات وفقاً لنظام ما لتنتج لنا فهرساً بمحتويات مركز التوثيق من الوثائق، وهذا الفهرست هو الدليل إلى الوثائق وهو أداة الاسترجاع لها ، وبهدف التكشيف إلى تحليل المعلومات التي بداخل مصادر المعلومات أو الوثائق وإنتاج الكشافات التي تتضمن نتيجة هذه التحليل لتثبيت المعلومات الصغيرة كاسم مكان مثلاً أو اسم شخص أو حادثة من تلك التي يبثها الفهرس لمصدر المعلومات ، حيث من المعروف ان الفهرس هو لتثبيت العناوين الأفقية ولا يشمل المعلومات العمودية في كل موضوع ، وهذا ما يعالجه نظام الكشافات التحليلية لمصادر المعلومات.

أما التصنيف فهو يهدف إلى أتباع نظام معين لترتيب الوثائق ترتيباً منهجياً حسب موضوعاتها ومن ثم سهولة استرجاعها لأي موضوع من الموضوعات وذلك من خلال تضييق مكان البحث عن المعلومة المطلوبة ". والتصنيف هو وضع الأشياء المتشابهة مع بعضها في مكان واحد، وهذا ما يدفعنا إلى عدم الذهاب إلى الأماكن الأخرى لموضوعات أخرى لا تدخل ضمن الصنف الذي نحن بصدده.

الفهرسة " عام "

الفهرسة هي عملية الإعـداد الفني للأوعية او الوثائق التي تحتويها مراكز المعلومات ومؤسسات الأرشيف وإدارات الملفات وغيرها ممن يهتم باقتناء مصادر المعلومات بهدف أن تكون تلك الأوعية في متناول المستفيد بأيسر الطرق وفي اقل وقت ممكن ، وتعتبر هذه العملية من أهم العمليات ومن أكثرها تعقيداً في نفس الوقت إذ يتمثل إنتاجها في أدوات أو وسائل على دنيا المعرفة المسجلة وتقديمها موصوفة ومنظمة للباحثين.

والفهرسة نوعان:

الفهرسة الوصفية: وهي التي تختص بوصف الكيان او الشكل المـادي لأوعـية المعلومات بواسطة مجموعة من البيانـات ، مثل اسم المؤلف وعنوان الوعاء وطبعته ومكان نشره واسم الناشر وتاريخ النشر والتعداد، وغير ذلك من الصفات التي تجعل من السهل التعرف على الوعاء وتحديد ذاتيته وتميزه طبعة معينة منه عن غيرها من الطبعات.

أما الفهرسة الموضوعية:

هي التي تختص بوصف المحتوى الموضوعي لأوعية المعلومات بواسطة رؤوس الموضوعات أو بواسطة رموز التصنيف.

الفهارس:

أما الفهرس – ناتج عملية الفهرسة– فهو قائمة مرتبة وفق نظام معين ، تسجل وتصف الأوعية التي توجد بمركز معلومات معين ، أو حتى بمجموعة عن مراكز المعلومات معاً.

والفهرس هو مفتاح مركز المعلومات ولا يمكن لأي مركز أن يقدم معلوماته وخدماته في كفاية وفعالية من دون أن يعتمد على فهرس صالح ، فإذا كانت وظيفة مركز المعلومات هي إمداد المستفيد بالأوعية التي يحتاجها فإن الفهرس هو تلك الأداة التي تقوم بدور حلقة الوصل وتربط بين احتياجات الباحث ومصادر مركز المعلومات.

ومجمل الأمر فإن الفهرس هو أداة استرجاع وظيفته الإجابة على التساؤلات التي تدور في ذهن الباحث ، فهو إما أن يبحث عن وعاء معلومات معين يعرف اسم مؤلفه وعنوانه أو يبحث عن مؤلفات كاتب بعينه ، عمّا كتب في موضوع معين أو عن غير ذلك من أنماط البحث.

تـلاحـم شبابنا الكفاحي رغـم الطائفية و الفتن!

د. مهند البراك

رغم أنـواع التطويق وإجـراءات التخويف و منع سير الحافلات، و منع التجوال في أماكن وسد الطرقات في أماكن أخرى، ورغم أنواع القوات الخاصة بأصنافها، بخوذها الفولاذية و دروعها الآلية و الفردية . . و رغم تهديدات رئيس الـوزراء في كلمته التي ألقاها عشية انطلاق " يوم الغضب العراقي " رغم فتاوى و تحذيرات أطلقها رجال دين . . بهدف إلغاء أو تأجيل الفعالية الجماهيرية التي تم الإعلان عنها و عن مكانها بوقت مبكر . . في ساحة التحرير في بغداد.وفي المحافظات..

انطلق الشباب العراقي كطليعة و معه ابناء شعبنا بفئاته وأطيافه رجالاً و نساءً . . شيعة و سنّة، عرباً وكرداً وأقليات، مسلمين و مسيحيين و صابئة و من كل من يكتوي بنيران البطالة و الجوع ومآسي الخدمات و الفساد الإداري، و من يكتوي بنتائج سياسة المحاصصة الجامدة . . في بلادنا الفائقة الثراء التي تتنازع على الاستثمار فيها كبريات الاحتكارات الدولية . و فيما كشف ذلك عن الفهم القاصر لمسؤولين كبار، لمفهوم الديمقراطية الذي يقوم أساساً على حق الشعب و الأفراد بالتعبير عن الرأي بكل حرية و هو حق مكفول دستورياً . . وفهمهم لها . في أحسن الأوصاف.بكونها تبدأ و تنتهي بانتخاب الزعماء.و بعدها الله كريم وما ننطيها..

خرجت الجماهير العزلاء رغم الحصار و التخويف، مطالبة بالخبز و حرية الرأي و بشل الفساد و تقديم كبار الفاسدين و اللصوص إلى القضاء، عاكسة انضباطاً سياسياً واعياً و يقظة عالية، عاملة على شلّ و إخراج المجاميع التي حاولت الاندساس إليها لحرفها عن مطالبها، و المجاميع التي حاولت التستر بها لتخريب أبنية و مرافق الدولة . في إثبات جديد على ان الجماهير المطالبة بالإصلاح . . قادرة على تشخيص الجهات التي تسعى لـوأد مطالبها المشروعة بدعوى كونها " سياسة " ! من جهة، و قادرة على تشخيص الجهات الساعية لتجيير احتجاجاتها اليها في نشاطها الذي يهدف إلى استحواذها بمفردها على السلطة السياسية من جهة أخرى . .

و يرى سياسيون أن احتجاجات " يوم الغضب العراقي " جاءت امتداداً لتظاهرات سابقة في سنوات ماضية، حظيت فيها بحماية أجهزة الدولة و كانت مقبولة منها . . فما الذي يجرى الآن ؟ هل لأنها كانت بأعداد قليلة في السابق ؟ هل لأنها كانت قد ضمّت شيوخا و كهولا و قليلا من الشباب أم لأنّ الأمور الآن ازدادت سوءاً وانفضح الكثير الكثير الذي لم يعد يمكن إخفاؤه، و صار يمسّ قطاعات أوسع وأوسع ممن صمتت طويلاً ولم يعد صمتها ممكناً، و قطاعات صارت تشعر بالذنب لأنها انتخبت وصوّتت، لحكومة هذا هو أداؤها، وفق المحاصصة المقيتة .

أداؤها الذي يؤدي بها إلى مواجهة المحتجين بالعنف و القسر الحكوميين، و محاصرة المتظاهرين واعتقال الصحفيين ومنع تغطية التظاهرات إعلاميا وإطلاق النار على المتظاهرين و التسبب بقتل وجرح المئات منهم . و القيام بحملة اعتقالات في بغداد وبعض المحافظات شملت عشرات الأشخاص ممن شاركوا بالتظاهرات بعد أن قامت وحدات استخبارية برصدهم .

من جانب آخر، و فيما دعا مسؤولون وسائل الإعلام إلى توعية الناس بخطورة التظاهر، مبدين استعداد الأجهزة الأمنية لحماية المتظاهرين. إلاّ أن شيئا من ذلك لم يحصل، حيث خرجت التظاهرات ولم يحدث شيء مما نبّهوا منه، و لكن الذي حصل هو أن العشرات من المتظاهرين سقطوا بين قتيل وجريح برصاص الحكومة ذاتها، حيث قتل وجرح ٢٣٥ شخصا . وفق إحصاءات طبية وأمنية رسمية . بسبب تظاهرات الجمعة التي واجهتها الحكومة و ليس غيرها . حيث أطلق الرصاص وخراطيم المياه وقنابل الغاز ثم أخليت الساحات باستخدام القوة مساء الجمعة . . من قبل أفراد حكوميين .

إن الجماهير المغيّبة أن صارت تدرك بتجربتها المريرة و بمعاناتها المستمرة و رغم التركة الثقيلة للدكتاتورية الكريهة، و ما عمله إرهاب القاعدة و الميليشيات الطائفية، ان صارت تدرك من يحرّك الفتن الدينية و الطائفية و كيف يتم توقيتها . .

فإنها تدرك من هو المسؤول بالنتيجة النهائية عمّا يجري، بحكومة لم يستكمل تشكيلها لحد الآن، رغم مرور ما يقارب عاماً كاملاً على إعلان نتائج انتخابات آذار من العام الماضي، يجمع رئيسها جميع السلطات العسكرية والأمنية في البلاد، فإضافة لرئاسته للوزراء، فهو القائد العام للقوات المسلحة و وزير الدفاع و الداخلية و الأمن الوطني، رئيس الاستخبارات العسكرية وكالة، رئيس أجهزة أمنية أخرى ويرأس حزب الدعوة الحاكم عملياً اليوم، إضافة لارتباط الهيئات المستقلة برهن قيادته. النزاهة، الانتخابات، الاتصالات و الإعلام و غيرها..

وإذا ما استهدفت الاحتجاجات السلمية اليوم المحافظين . الذين استقال عدد منهم أثرها . واستهدفت مجالس المحافظات، و حرّكت البرلمان . المشغول بمخصصاته . لإعادة النظر بتلك المجالس وقانون انتخاباتها، و بآليات أعمالها التي يصرّ كثيرون على كونها نتيجة للفساد و للسرقات الكبيرة، أفشلت واجبات ملفات الخدمات . .

فإنها وفي الأجواء المنعشة للإرادة الشعبية في التغيير التي تعم المنطقة . . و تسببت لحد الآن برحيل بن علي و مبارك عن السلطة، و تستمر في إيران و البحرين و اليمن و الأردن، وفي حالة استمرار الأوضاع بسيرها المؤلم هذا في البلاد . . فأنها قد تستهدف الحكومة لاحقاً و تدعو لاستقالتها حفاظاً على البلاد من مخاطر تركّز السلطة و عودة حكم الدكتاتور الفرد بلبوس جديدة!

فقد بدأ جدار الصمت يتحطّم !

ahmedlada@gmx.net

الراحة النفسية

أ.د. حسين أمين

ليس هناك من يستطيع أن يفرض عليك الحزن ويدفع بك بعيدا عن شواطئ السعادة والهناء والاستمتاع بنعمة الرضا والقناعة وراحة البال سوى ما تسمح به أنت شخصياً!

وإذا كانت دوافع الحزن والألم أكبر من طاقة الفرد خصوصا إذا واجهته عقبات كؤود تتمثل في مرض عضال أو عجز عن تلبية الحد الأدنى من متطلبات العيش الكريم له ولأسرته، فإن السبيل الوحيد للتغلب على المحن والأزمات لا يتحقق بإعلان رايات الاستسلام، وإنما بالسعي المستمر لفتح طاقات الأمل والتفاؤل بدلا من التمزق تحت آهات العذاب، ولعن سوء الحظ والنحس الذي لن يفارقك إلا عندما تسخر منه بوقف الدموع وتغطية الوجه بالابتسامة المشرقة كما فعل أجدادنا الأوائل وآمنوا بالحكمة القائلة (اضحك للدنيا تضحك لك)!

وليس هناك ما يمكن أن يضع أقدامك على بداية الراحة النفسية سوى الإيمان بالله وأداء الفروض والواجبات الدينية التي تمنحك قدرا هائلا من القوة وتجدد ثقتك في أن معارك الإنسان مع الحياة هي في البداية والنهاية معارك ((إرادة)).. ومن يملك إرادته يكسب دائما كل معاركه!

إن الإيمان بالله سوف يزيدك يقينا بأن الغنى والثروة والصحة والجاه ليست هي وحدها منبع السعادة، وإنما المنبع الحقيقي للسعادة هو حالة المرء النفسية والذهنية التي تجعله يتجنب النظر إلى النصف الفارغ من كوب الحياة.

وفي رواية الأديب الروسي العالمي ((تولستوي)) ((أنا كارنينا)) يسير بطل الرواية ((ليفين)) في شوارع المدينة بعد أن أعلن خطوبته على الفتاة التي أحبها وهو يتغزل إعجاباً في كل شيء يصادفه.. فالسماء تبدو أشد زرقة والطيور تغرد بأصوات عذبة وألحان شجية، والناس جميعا من حوله ينظرون إليه نظرة ود وتقدير... فهل كانت المدينة جميلة حقا في هذا اليوم لكي تبدو في عينيه بهذا القدر من الإبهار؟

والجواب باختصار شديد هو أن ((ليفين)) تهيأ في يوم إعلان خطوبته – نفسياً وذهنياً – لكي يرى الدنيا في جمال خطيبته التي وقع اختياره عليها... وبالتالي فإنه كان يمكن أن يشعر بسعادة مماثلة في أي مدينة أخرى وأن يراها ويرى أهلها على هذه الدرجة من الروعة والجمال، لأن السعادة – في هذا اليوم تحديداً– كانت تنبع من داخله وتشع نوراً ينعكس على كل شيء في مرآة عينيه!

اطرد الشك من داخلك وقاوم الإحساس بالظلم بإرادتك وافتح الأبواب والنوافذ على مصراعيها لرياح التفاؤل والأمل فهي لا تذهب إلا للوجوه التي ترسم عليها علامات الرضا بما تجيء الأقدار سلباً وإيجاباً.